الببغاء الذكي

ي . س . بينتلي

(نشرت لأول مرة ١٩١٤م)

قالت السيدة لانسي: "حسنا، هذه هي أختي م ا رأيك بها بعد أن تحدثت إليه؟"

وقف فيليب ترينت القادم لتوه من إنكلترة جانب مضيفته في شرفة الفيلا الإيطالية متأملا المشاهدة الطبيعة الساحرة والأسرة للإنسان الشمالي على الدوام، أما في الطريق المرصوف أمام الفيلا مباشرة فقد وقفت امرأة تنظر إلى البحيرة المترامية عن بعد وهي تتحدث إلى رجل طويل أشيب.

أجاب ترينت: "إن عشرة دقائق غير كافية لكن الشيء الوحيد الذي أستطيع ذكره الآن إنها أجمل شيء يقع عليه البصر" فضحكت السيدة لانسي:

"لكنني أريدك أن تهتم بها شخصيا يا فيليب؛ فهي تعني الكثير لي أكثر من مجرد أخت وإني لأشعر بالإثم بمجرد التفكير بأن فيها خللا ما"

"تقصدين صحتها؟ لكن لا يبدو عليها ذلك"

"نعم، لكني أخشى ذلك"

"معقول؟.. لماذا يا إديث، فالمراة لها مزاج طفل وخطوة حصان وعينان كالجواهر، إنها كأتلانتا بالكتان الأزرق"

فتساءلت السيدة لانسي: "هل صحيح أن أتلانتا تزوجت مومياء مصرية؟"

أجاب ترينت بشرود: "نعم.. إن السير بيرجرين يبدو وكأنه برز من مكان خفي لكن هذا المظهر ساعده في النجاح المهني كما أعتقد؛ فالناس يفضلون أن يكون منظر الأطباء متوعكا إلى حد ما!"

"ربما ولكن لا أظن أن زوجة الطبيب تحب ذلك.. إن إيزابيل تشعر بسعادة غامرة عندما تبتعد عنه، لو كان هنا لتغيرت حالتها تماما عما تراه، فكما تعرف يا فيليب فإن زواجهما كان فاشلا كنت أعرف دائما أن هذا ما سيحدث"

هز ترينت كتفيه وقال: "لنترك الموضوع جانبا يا إديث.. أخبريني ماذا تريدين معرفته عن الليدي بوسورت إذا كانت متوعكة فإني لست بطبيب"

"لا.. ولكن هناك شيء محير كما سترى.. أنت ذكي بما فيه الكفاية لمعرفة الحقيقة لن أخبرك بشيء الآن، بل سأدعك تراقب بيلا عند العشاء بشكل خاص وتدلي لي برأيك.. فيما بعد سأدعك تجلس مواجها لها أما الآن فاذهب وتحدث إليها وإلى الرجل الألماني"

علق ترينت: "إن مظهر سكيفر يثير اهتمامي فهو ذو وجه يشبه إلى حد بعيد وجه فريدريك العظيم، ولكن الاختلاف الذي يبدو أن له روحا ضائعة للأبد"

اقترحت السيدة لانسي: "اذهب واساله عن ذلك"

خرجت الليدي بوسورث من غرفتها للعشاء، بينما يراقبها ترينت بإمعان، لم يلحظ أي تغير فهي تتحدث بحماس عن جمال أمسيات إيطالية وتشارك بمناقشة عامة شيقة ولكن بعد عشر دقائق لاذت بالصمت وبدت على وجهها نظرة غريبة، وشيئا فشيئا فارقتها الحيوية وتبلدت عيناها وانفرجت شفتاها بابتسامة غبية وعلا وجنتيها امتقاع شديد.

لقد فارقها كل مرح وطاقة ولم تستعد توازنها إلا بعد لأي وجهد، وبقيت أكثر من ساعة تتحدث بتلعثم، وها هي الآن جالسة أمام منضدة تنظر أمامها ببلاهة تردد كلمات من مقطع واحد ردا على حديث السيد سكيفر الذي يصبه في أذنها..

قال ترينت في نفسه: "ليس هناك شيء طبيعي فقد تبلدت السيدة كليا وتحولت إلى شخص آخر يعتصر قلبه شفقة"، وبعد ساعة رافقت السيدة لانسي ترينت إلى مقعد في الحديقة يطل على البحيرة.

قالت بهدوء "حسنا؟"

أجاب: "إنه أمر غريب جدا، لكنك لو لم تخبرني أنه يحيرك لوجدت له توضيحا"

"تقصد العقاقير؟"

فهز رأسه بإيجاب، فأوضحت: "كل شخص يظن ذلك طبعا ظن جورج كذلك ولكنه رهيب!" وضربت على الكرسي قائلة: "أجاثا ستون أيضا تلمح بذلك منذ أيام قليلة.. يا لها من قطة ثرثارة إنها تكره إيزابيل، وستنشر في كل مكان بأن أختي مدمنة عقاقير فيليب.. لقد سألتها فيما لو كانت تتعاطى أي شيء فنفت ذلك تماما، وأنا اعرفها جيدا، وبرغم أخطائها فهي لا تكذب أبدا"

فألفت ترينت ينظر إلى الأرض وقال: "نعم لكن لا بد أنك سمعت.."

"أوه.. أعرف! يقولون أن مثل هذه العادات تجعل أشرف الناس يكذبون ويغشون وما إلى ذلك لكن – وكما تري – لم يتغير فيها شيء إلا في ذلك الوقت.. ببساطة أنا لا أقوى على تكذيبها.. إنها لا تستخدم أي نوع من المساحيق ولا تضع شيئا على شعرها وتغسل نفسها كل يوم في الصباح وحتى المساء بصابونة صفراء عادية، كما أنها لا تتناول أي نوع من الكحول او الشاي أو القهوة.. لا أعتقد أن أي شيء في العالم يجعلها تفعل مثل هذه الأشياء"

"منذ متى وهي على تلك الحالة؟"

"هذه هي الليلة السابعة تقول أنها متأكدة من أن الامر عابر، ولن يؤثر على صحتها.. إن جورج وهو المخلص لها يتحدث إليها بصعوبة الآن، وكذلك راند ولفستون، وقبل يومين من وصولك انصرف آل إيلنجورث والكابتن بوروس أبكر من العادة، وأنا متأكدة من أن تغير إيزابيل قد أفسد زيارتهم"

علق ترينت: "لكن يبدو أنها على أتم الوفاق مع سكيفر"

"أعرف أنه أمر غريب لكنه يبدو متاثرا بها"

"نعم.. إنه كذلك، ولكنه تأثر التماسيح – على ما يبدو – فقد تحدثت معه بعد مغادرتك لغرفة الطعام فقال أن الليدي بوسورت ليست على ما يرام وأنه مهتم بحالتها من الناحية الطبية".

"لا أعرف، لكن جورج يدعوه بعالم الإنسان، ولكنه اختلف معه حول السلالات القديمة الموجودة في الهند فهذا هو الشيء الوحيد الذي يعرفه جورج جيدا بعد إقامته لمدة اثنتي عشرة سنة هناك.. لقد حصل بينهما انسجام فوري عند تلاقيهما العام الماضي وعندما دعوته للإقامة عندنا كان في غاية السرور، ورجا أن يسمح له باصطحاب ببغائه إذ لا يستطيع العيش بعيدا عنه"

لاحظ ترينت: "هواية غريبة لرجل؛ لقد عرض علي مهاراته هذا المساء"

"إن السيد سكيفر شخص متمع تماما.. لقد عاش سنوات وسط المتوحشين في غينيا الجديدة قام خلالها بأعمال علمية لمصلحة الحكومة هناك، وقد قال جورج أنهم كانوا يعاملونه باحترام كبير.. أعتقد أنه شخص جذاب ولطيف ولكن هناك شيئا يجعلني أنفر منه".

"ما هو؟"

"ربما تلك النظرة الباردة في عينيه"

وسرت رعدة بكتفها.

"ربما هذا هو الشعور الذي أخذ عنه في غينيا الجديدة.. هل قلت لي يا إديث أن أختك أصبحت بهذا الوضع منذ الليلة الأولى لقدومها هنا؟"

أجابت: "نعم، ولم يكن قد حدث هذا من قبل".

"لقد قدمت من إنكلترا مع آل ستون؟"

"لقد رافقوها في الجزء الأخير من الرحلة فقط "

نظر ترينت نحو غرفة الجلوس إلى وجه السيدة ستون النحيل وهي تلعب بالورق مع مضيفها كانت نحيلة وجميلة ذات عينين كبيرتين مرعبتين يرتسم فيهما طابع الكآبة بالرغم من رسمها الابتسامة الدائمة على محياها".

"قلت أنها تكره الليدي بوسورت.. لماذا؟"

اعترفت السيدة لانسي: "حسنا.. إنه خطأ بيلا، فالحقيقة أنها تنفر بسرعة من أي شخص لا ترتاح إليه.. إن عروقها تضج بالحياة أكثر مما تطيقه أو ترغب به، لكنها تقول ليس هنالك ضرر من ذلك.. لقد عبثت كثيرا براندولف، ومع أنه غبي تماما إلا أن أجاثا لا تطيق مثل هذه المناظر"

علق ترينت: "لكنها تبدو ودودة معها"

فما كان من السيدة لانسي إلا أن أطلقت صوتا يعبر عن احتقار كبير لا يمكن وصفه بكلمات.

أخيرا سألت المضيفة: "وبعد ماذا ستفعل بالأمر يا فيليب، فأنا لا أعرف ما أفكر به، هذه الأعراض المرضية التي تصيب أختي تخيفني جدا".. ثم أضافت بصوت منخفض جدا: "أيكون بداية خبل؟"

أجاب بصوت مطمئن: "أوه.. عليك ألا تفكري بهذه الحماقات.. أصغي لي يا إديث عليك تدبير أشياء معينة غدا دون طلب أي تفسير لها ولا تخبري أحدا عما أقوله لك حتى جورج – إلا فيما بعد – اتفقهيني"

همست السيدة لانسي: "يا للإثارة!.. نعم أيها الرجل الغامض.. ماذا تنوي فعله؟"

"هل بإمكانك تدبير الأمور غدا، لنذهب برفقتك ورفقة الليدي بوسورت في رحلة في القارب فوق البحيرة مدة ساعة أو اثنين، ثم نعود للغداء نحن الثلاثة فقط مع السائق؟"

أومأت: "ثم نهبط نحن الثلاثة من القارب إلى سان مارميت – يا له من مكان جميل – ونعود قبل السابعة حيث يكون الجو عند البحيرة رائعا في ذلك الوقت"

"سيكون هذا ممتازا إذا وفقت إليه، وهناك شيء آخر: أريد منك أن تطلبي من السائق أن يفعل كما أريد مهما كان الطلب"

قامت السيدة لانسي بالأمر دون أي صعوبة؛ ففي الساعة الخامسة أبحر الثلاثة مع شاب قوي ذي أساليب بارعة في قيادة المراكب البخارية.. انساب القارب بلطف جنوبا قاطعا ميلا بعد ميل في البحيرة الطويلة، ثم أرسى القارب عند مشهد من أبدع المناظر يذكر سحرها الريفي بالطفولة، وبينما راحت الفهم والاستيعاب من قبل السائق وخاصة على عينيه وأسنانه.

ثم توجهوا بعد فترة نحو سان مارميت وتسلقوا الطريق الجبلي إلى كنيسة صغيرة على بعد نصف ميل، ومن هنا شاهدوا الرسوم والتماثيل المثيرة.

عادوا في الساعة السادسة والنصف تماما ليقابلهم السائق بارتباك واعتذار شديدين؛ فعلى ما يبدو أنه أثناء انشغاله مع صاحب الحانة في ذلك المكان جاء شخص مجهول وقام بتعطيل المحرك، وعندما سئل عن المدة التي يستغرقها إصلاح المحرك أجاب وقد غلبه الارتباك أنه يخشى أن الأمر سيستغرق ساعات، ثم أضاف أن القارب العمومي التالي سيصل بعد التاسعة، وبهذا فلن يتمكنوا من العودة إلا في ذلك الوقت، وأجاب

على سؤال آخر إن كان بالإمكان الاتصال هاتفيا من مكتب البريد فيزودهم بالطعام اللازم.

سرت الليدي بوسورث، وأعلنت أنها لن تفوت هذه الفرصة مقابل أي شيء، وأطرت على ترينت الذي بدا رفيقا ممتازا.

كان عشاءً بهيجا، تحت ظلال العرائش على يابسة صغيرة تطفو فوق البحيرة.

ثم أتى المركب العمومي وتوجه الركاب يتوافدون مقررين العودة وبينما هم يبحثون عن مقاعدهم دست السيدة لانسي يدها في ذراع ترينت وهي تهمس: "لم يبد عليها أي أعراض طوال الأمسية فبم تفسر هذا؟"

لم يجد ترينت فرصة للاختلاء بمضيفته حتى مساء اليوم التالي في الحديقة..

قالت السيدة لانسي: "لقد كانت مبتهجة جدا البارحة لأنها لم تمر بالأعراض المرضية وقالت أنها كانت تعرف بأن الامر عرضي ولا تعرف سببا لشفائها ولا حتى أنا"

أجاب ترينت: "لا تعرف أن البارحة هي البداية لكننا لا نستطيع إبعادها كل يوم بشكل مفاجئ.. أما الخطوة الثانية فيمكن القيام بها الآن إذا أردت.. أعتقد أن الليدي بوسوث ستبقى في الخارج حتى المساء؟"

"لقد ذهبت للتسوق في البلدة.. ما الذي تريد فعله؟"

"أريدك أن تأخذيني إلى غرفتها، وهناك أريدك أن تبحثي جيدا في كل زاوية وكل صندوق وكل درج وحقيبة وتعرضي علي ما قد ترينه..."

قاطعته السيدة لانسي، وقد تورد وجهها: "لكني أكره فعل هذا".

"عليك أن تكرهي أكثر منظر أختك هذا المساء، وقد عاودتها الأعراض السابقة.. انتبهي لي يا إديث إن الموقف بسيط للغاية إذ تصعد الليدي يوسورث إلى غرفتها يوميا – عدا البارحة – استعدادا للعشاء، وتخرج منها كما دخلت إلا أن وعكة تصيبها بعد فترة.. فهل هناك مكان آخر غير تلك الغرفة حيث يمكن أن تتعرض لذلك العارض فيه؟"

ظلت السيدة لانسي مقطبة الجبين مشغولة الخاطر ثم قالت أخيرا: "تعال معي"، وقادته إلى القسم الأعلى من المنزل، وبعد عشر دقائق قالت السيدة وهي تجلس على السرير:

"لم يبق مكان نبحث فيه إلا تحت الأرضية أو في قارورة، مما يطابق الشكوك، ما الذي يثير اهتمامك بعلبة طلاء الأظافر؟ لا بد أنك رأيت مثلها قبل الآن بالتأكيد؟" أجاب ترينت: "هذا التصميم الزخرفي من الفضة المطروقة بديع جدا، وأصلي، لم أشاهد قط شيئا من هذا القبيل"

علقت السيدة لانسي بارتياب: "هراء.. إن الزخرفة نفسها موجودة على قطع التواليت كلها ولم يلفت انتباهك إلا قارورة الطلاء!"

ثم أضافت ببطء: "تبدو مسرورا في قرارة نفسك"

استدار ترينت ببطء وقال: "إنني أفكر فقط فيمن يشغل الغرف على جانبي هذه الغرفة يا إديث"

"من جانب: آل ستون، ومن الآخر: السيد سكيفر"

"حسنا سأقوم بنزهة بمفردي لأفكر بهدوء.. إلى اللقاء"

لم يكن ترينت في المنزل بعد ثلاث ساعات حيث علت أصوات تحطم في الطابق الأعلى.. تفاجأ المتواجدون في الرواق في الأسفل بصرخة عالية، ثم قرقعة خطوات هاربة، ثم المزيد من أصوات الأقدام وأصوات مستثارة، وصرخات أخرى حادة وغير بشرية. أخيرا جاء صوت السيد سكيفر العالي والمميز مفسرا الضجة في الأعلى. صاح من أعلي السلم:

"جيسكو! جيسكو" فسمع صوت خشخشة مكتومة وإذ ببغاء قادم، وهو يصفق بجناحيه من غرفة الليدي بوسورث تتبعه ثلاث خادمات مذهولات، كان صدر الطائر يخفق من الإرهاق والذعر، ولكنه استعاد الإحساس بالطمأنينة، وهو يحط على رسغ سيده الممدودة.

صاح السيد سكيفر وهو يمسك برأس الطائر ويهزه بعنف: "اخرس يا شيطان! لا أعرف كيف أعتذر"، ثم أوضح: "لانسي.. لقد أفلت الطائر الملعون بطريقة ما من سلسلته، لقد تركته في غرفتي قبل تناول الشاي"

أجاب مضيفه الذي بدا مسرورا بهذا التغيير: "لا عليك.. لا عليك.. لا أعتقد أنه أتى بضرر عدا إخافة النساء".. قدم يال، وقد اقترب من الباب المفتوح لغرفة النوم حيث هرعت السيدات إليها: "هل هناك أي شيء؟" كانت وصيفة الليدي بوسورث جالسة أمام السيدات تحكي قصة مثيرة لخصتها السيدة لانسي بقولها:

"عندما دخلت الخادمة إلى الغرفة لترتيبها استعدادا لسيدتها سمعت على حين غرة صوتا غريبا ثم شاهدت الطائر يحط على أعلى المرآة، ويحدق بها، وقد أرعبها المنظر لدرجة أنها أسقطت الدلو ولاذت بالفرار، فجاءت الخادمات الأخريات لمساعدتها وطرده، ولم يخطر ببالهن استدعاء السيد سكيفر"

أمر السيد، جيسكو: "اعتذر يا إبليس!"، فصاح البغباء بكلمات ألمانية مبهمة. تجهم السيد سكيفر: "إنه يطلب الصفح ألف مرة، ولن يكرر هذا مرة أخرى"

هرعت السيدة بوسورث خارجة من غرفتها وهي تحتج: "لن أطيق سماع مثل هذا الكذب كيف عرف أن خادمتي ستذعر.. إنه يبدو خسيسا.. أبعده يا سيد سكيفر من هنا وقم بتهدئته"

بعد نصف ساعة من هذا دخلت السيدة لانسي غرفة زوجها وقالت له: "يجب أن أعترف أن بيلا كانت مهذبة جدا مع السيد سكيفر بشأن طائره.. هل تعرف ماذا فعل صاحبنا الصغير؟"

"لا يا عزيزتي.. أعتقد أنه نجح في إخافة الخادمة حتى وقف شعر رأسها"

"هذا ليس كل شيء.. يبدو أنه استغل الفرصة جيدا، فانتزع أزرار زوجين من القفازات والتقط دابيس الشعر وأفسد طلاء الأظافر، واختفت القارورة الفضية تماما".

قال السيد لانسي وهو يربط حذاءه: "شيء مؤسف"

قالت زوجته ببرود: "أعتقد أنك تسخر"

"يجب أن تعترفي أنه من المضحك حقا التفكير بأن الطائر قد تعمد حبك مثل هذا البرنامج لسرقة الأشياء.. على كل سنحاول أن نقدم لبيلا عدة طلاء أظافر جديدة، وإني مسرور لأنها أمسكت عن ذكر هذا الموضوع حاليا"

"لماذا؟"

"لننا يا عزيزتي لا ندعو الآخرين إلى منزلنا لإزعاجهم، خاصة الأجانب"

"إن بيلا لم تفكر بمثاليتك في واجبات الضيافة عندما أمسكت لسانها بل لأنها تستهوي سكيفر، ولكن يا جورج كيف تعتقد أن الشيطان الصغير دخل الغرفة؟ فالنوافذ مغلقة، وأكدت أن الباب كان مغلقا عند دخولها".

أعتقد أن الخادمة تغالط نفسها، على أي حال فماذا في الأمر؟.. المهم بالنسبة لي أختك التي كانت بحالة طبيعية مساء البارحة عندما بقيت خارج البيت.. إنني أشعر بالحرج فعلا يا إديث، وما أخشاه الليلة أن تعاودها تلك النظرة المميتة"

لكن لم تتكرر تلك الحالة في هذه الليلة ولا في أي ليلة من الليالي التي تلتها وأصبحت الليدي بوسورث طليقة من كل المظاهر المرضية فاستعادت العائلة الصغيرة بهجتها، أما شفتا ترينت فقد أغلقتا تماما.

بعد ثلاثة أسابيع دخل ترينت إلى غرفة السير بوسورث، كان الجراح المشهور طويل القامة ضخم الجثة ذا فك ضيق وأنف مقوس على أنه رجل لطيف المعشر لا تفارق الابتسامة وجهه إلا أن خطوط الحزن قد طبعت وجهه.

قال السير بوسورث: "هلا جلست يا سيد ترينت.. لقد أرسلت إلي ترغب بمقابلتي بشأن موضوع خاص يهمني شخصيا، ولم أتخيل ما هو، ولكن اسمك المعروف جعلني لا أتردد في مقابلتك"

هز ترينت رأسه: "أعتذر لك يا سير، لكن الأمر في غاية الأهمية وشخصي إلى أبعد حد.. لا يعرف الأمر أحد سواي.. لن أضيع الوقت بالكلمات، لقد قضيت الفترة الأخيرة بصحبة آل لانسي في إيطاليا، وكما تعرف كانت الليدي بوسورث ضيفة عليهم أيضا، لقد عانت عدة ليال

قبل وصولي من نوبات مبهمة من توقف الذهن والبلاهة لا أعرف ما هي، ولكن قد تعرف أنت"

كان السير يستمع بجمود وابتسامة كئيبة على شفتيه "إن الاوصاف التشخصية غير كافية إضافة إلى أني لم أسمع شيئا من هذا من زوجتي" "كانت تنتابها الحالة في وقت معين من اليوم بعد الثامنة بدقائق – أي في بداية العشاء – ثم تتلاشى تدريجيا خلال ساعتين"

وضع السير بوسورث يده على المكتب، وقال بصورة باردة وعدائية نوعا ما: "إنك لست بطبيب يا سيد ترينت كما أعتقد، فما الذي يهمك بهذا الأمر؟"

أجاب ترينت باقتضاب: "الكثير" ثم أضاف، وقد رأى السير بوسورث يقف على قدميه وقد توقدت عيناه: "إنني لا أعرف شيئا عن الطلب ومع ذلك فقد شفيت الليدي بوسورث"

جلس الآخر فجأة وسقطت يداه المفتوحتان على المكتب وشحب وجهه قال بصعوبة:

"أنت..."

"لا أحد غيري يا سير بوسورث، وبطريقة بسيطة للغاية فقد وجدت سبب المشكلة وإزلته دون معرفتها لقد كان.. أوه! يا للشيطان!" وقد صاح بالكلمات الأخيرة بصوت منخفض عندما رأى السير بوسورث وقد امتقع وجهه حاول النهوض فسقط ووجهه على الطاولة.

هرع ترينت الذي سبق له رؤية مثل هذه الحالة سحب كرسيه عن الطاولة ووضع جبينه على ركبتيه وفي لحظات كان الرجل المصعوق جالسا في مقعده وأخرج من جيبه زجاجة وشرب منها.

قال ترينت: "ربما تعاني من إعياء هناك شيء غير طبيعي والأفضل ألا..."

استجمع السير بوسورث نفسه وقاطعه: "أعرف الشيء غير الطبيعي في يا سيدي فهذا شأني وحدي، ولن يتكرر.. أرغب بمعرفة ما كنت تريد قوله قبل مغادرتك هذا المنزل".

"حسنا.. لقد طلبت أخت الليدي يوسورت السيدة لانسي مني مساعدتها في اكتشاف مصدر النوبات التي تطرأ عليها كل مساء.. لن أزعجك بالتفاصيل لكني توصلت إلى أن الليدي كانت تحت تأثير عقار يوهن قواها العقلية دون أن يسبب لها مضاعفات أخرى أو نوما، وخلصت إلى أنها تتناوله دون علم منها".

توقف قليلا متحسسا جيب معطفه ثم أكمل: "عندما قمت والسيدة لانسي بتفتيش غرفتها لفت انتباهي عدة طلاء الأظافر على طاولة الزينة، وقد أخذت الصندوق مظهرا إعجابي به ونظرت إلى داخله فوجدت قارورة مرطب الشفاه، وبدا واضحا أن هذه القارورة مستخدمة كما ترى فإنه من المفيد الانتباه إلى توافه الأمور أحيانا؛ لذلك قمت بأخذ هذه القارورة ووضعها في جيبي دون معرفة السيدة لانسي"

قال السير بوسورث وهو يتابع القصة باهتمام ساخر: "ماذا كان بها؟"

"بما أنني جاهل بمثل هذه الأمور، فقد توجهت نحو صيدلية إنكليزية في المنطقة وطلبت من صاحبها تحديد المادة الموجودة ثم قال: إنها مخدر شفاه دون ريب"

"تذكرت عندها كيف كانت شفتا الليدي حمراوين في إحدى النوبات بينما شحب كل وجهها، وربطت هذه الملاحظة بأخرى عندما ذهبت مع الليدي وأختها في نزهة على البحيرة وتناولنا العشاء في حانة ريفية لاحظت أن الليدي بوسورث لم تبد عليها أية أعراض وهي خارج المنزل ولكنها كانت تلعق شفتيها بلسانها مرة تلو الأخرى"

فعلق السير بورسوث ببرود: "إنك ملاحظ جيد" وشرب جرعة أخرى من الزجاجة.

أجاب ترينت بوجه متجهم: "لطيف منك أن تقول ذلك وبعد أن جمعت كل هذه الملاحظات عرفت أن الليدي بوسورث قد اعتادت وضع مخدر شفاه عند استعدادها للعشاء كل مساء ربما لأنها تجد شفتيها جافتين، أو لعدم قدرتها على استخدامه نهارا حيث يفتضح أمره بسهولة فقد علمت أنها تحتاط للظهور بجمال طبيعي، وتتستر بمساحيق الزينة التي تخضبها في علبة أدوات الطلاء ومن بينها هذه القارورة، ولا يسعدني كشف هذه الخدعة الصغيرة، ولكن هذا الذي حدث وسرعان ما اكتشفت أن هناك يدا عبثت به.. بعدما غادرت الصيدلية ذهبت إلى

مكان منعزل في حديقة المتحف ووضعت أقل لمسة ممكنة من المخدر على لساني، ثم انتظرت لأرى النتيجة خلال خمس دقائق، فقدت كل قواي العقلية، ولم أعد أملك أي إدراك أو إرادة فقدت كل اهتمام بتجربتي مع بقائي واعيا وقادرا على الحركة ولم يشلني سوى القدرة العقلية، وهكذا ظللت أحدق بالعالم مدة ساعة كاملة كالثور"

وفتح ترينت أصابعه ليظهر صندوقا مدورا صغيرا من الفضة المطروقة الموشاة بزخارف رائعة.

"لقد رأيت أن أفضل طريقة اختفاء الصندوق كله وبطريقة طبيعية لا تثير الشكوك لأن اختفاء المخدر وحده سيلفت انتباه الليدي بوسورت وشكها، وبما أنها لم تشك بالمادة بعد فقد اقتنعت بوجوب إبقائه سرا.. إن عينيك تسألاني: لماذا؟.. السبب أني لا أريد تعريض عائلة لانسي للفضيحة فنحن أصدقاء قدامي. الآن ها أنا والصندوق أمامك، ولا يعرف أحد بسره المجنون سوانا"

توقف ثانية، ونظر إلى عيني السير بوسورث اللتين تحجرتا عليه بجمود كعيني تمثال.

تابع ترينت: "أصبح من الواضح طبعا أن احدا ما قد عبث بالمادة قبل رحيل الليدي إلى إيطاليا أو بعد وصولها مباشرة" لقد انتابتها الحالة أول مرة بعد وصولها بساعتين لذا لا يمكن أن يكون العبث قد تم بعد وصولها.. عندما ساءلت نفسي من تسنى له العبث بالمخدر قبل مغادرة الليدي منزلها وجدت نفسي أمام جواب غير سار"

تململ السير بوسورث في كرسيه: "يبدو أنك اطلعت على حقيقة حياتنا الزوجية أو على جزء منها على ما أعتقد"

هز ترينت رأسه وقال: "عندما وصلت إلى لندن قبل ثلاثة ايام ذهبت إلى صديق لي وهو خبير بالتحليل وعرضت عليه المادة فأرسل لي التقرير التالي"

ووضع على الطاولة مظروفا: "لقد اهتم بالمادة التي عثرت عليها لكني لم أشبع فضوله لأنه وجد المخدر قد عولج بكمية ضئيلة من نوع نادر من القلويات يدعى "بالبورفيزني" وتؤثر مركباته على الجملة العصبية للإنسان، وقد عرف أن هذا النوع قد اكتشف على يد هينري بورفيز منذ عشرين عاما، وكما ترى فقد وجدت بالتحريات أنك يا سير بوسورث كنت مساعدا له في ذلك الوقت في آيدنبرج"

توقف عن الحديث وسار صمت قصير، بينما نظر السير بوسورث أمامه مرة أو مرتين ثم أخذ نفسا عميقا وبدأ يتحدث بهدوء.

قال: "لن أضيع الوقت بالكلمات محاولا تسويغ حالتي العقلية أو تصرفي ففي هذا الموضوع سأخبرك بالشيء الأساسي، وأدع الباقي لخيالك.

إنني مفتون بزوجتي حتى الآن، إني أكبرها بكثير، ولا أظن أنها توليني كثيرا من الاهتمام الآن، لكنها كانت من رجاحة العقل حيث تزوجت من أحمق ثري وبعد سنة واحدة من زواجنا لم أعد أتحمل مغالطة

نفسي بشأن ضعفها الشديد أمام مغازلة، لقد تجاوبت معها شيئا فشيئا دون أن تحاول خداعي، وإذا ما أخبرتك عن مدى معاناتي فلن تستوعب، وأسوأ ما في الأمر عندما تكون مع أصدقائها بعيدة عني أخيرا اتخذت الخطوة التي عرفتها، ولا أكتمك أنها خطوة وضيعة وسندعها عند هذا الحد إذا أردت، وإذا عانيت قدر ما أعاني فستقدر على إصدار حكم عادل على أني أعرف عادة زوجتي التي اكتشفتها، وهي استخدام مخدر شفاه لزينتها المسائية، وعند الليلة السابقة لرحيلها أخذت القارورة ومزجتها بنسبة محضرة من عقار البورفيزن.. إن النسبة التي ستدخل الفم بعد طلاء الشفاه محسوبة بدقة بشكل يحدث الأعراض المذكورة مدة ساعة أو ساعتين دون مضاعفات أخرى، لكني أعلم ما سيكون انطباع أصدقائها وهم يشاهدونها على تلك الحالة أردت تحويل جاذبيتها إلى نفور، وكدت أنجح، لقد كنت مجنونا عندما فعلتها وسأظل نادما على ذلك ما حييت، وأنا سعيد لأن الأمر قد انتهى، أما الآن فأرجو أن تطلعني على ما تنوي فعله".

التقط ترينت الصندوق وقال: "إذا وافقت يا سيد فسأرمي هذا من جسر ويستمنستر الليلة لكي لا يعاد أي شيء من هذا القبيل ثانية، ويدفن الموضوع برمته، إن قصتك خسيسة ولا أعتقد أن ضمير أي منا يقبل مثل هذا الفعل وليس عندي ما أضيف!"

ثم وقف وتحرك باتجاه الباب، فوقف السير بوسورث أيضا بعينين منكسرتين وذهن مشغول بالخواطر. قال بلهجة رسمية: "أعتذر لك يا

سيد ترينت لقد أثارت تحرياتك السابقة اهتمامي غير أن لدي سؤالا: كيف وفقت إلى إخفاء الصندوق كله دون معرفة صاحبته حتى لا تشك بمحتوياته؟"

أجاب ترينت، وهو يدير مقبض الباب: "أوه.. بسهولة بعد أن جربت المادة على نفسي عدت إلى البيت قبل تناول الشاي ولم أجد أحدا، وصعدت إلى الأعلى حيث الببغاء، وحللت وثاقه، ثم حملته إلى غرفة الليدي بوسورث، وهناك وضعته على طاولة الزينة وغطيته قليلا بأدوات الطلاء ليهتم بهم ثم أخذت بعض الأزرار معي حتى لا يظن أن هناك تعمد في إخفاء الصندوق وحده، ثم تركته يفعل ما يشاء بعد إغلاق الغرفة، بينما غادرت المنزل ثانية فقام بإفساد الأشياء الأخرى، كما وجد فيما بعد، وهكذا أصبح اختفاء الصندوق واحدة من عدة أشياء سببها الببغاء ولم تشك الليدي بشيء" أضاف السير بشرود: "أعتقد أن تلك الحادثة هي الوحيدة التي فيها الببغاء ذا نفع ما".. وخرج ترينت مبتعدا.